الزجر في كتاب بنت الشاطئ

م.م. سهى عباس ناصر

مديرية تربية الانبار

Suhaabbas064@gmail.com

الملخص:

لفظة (الزجر) في لغة العرب من الأضداد، وأصلها (ارتجز) فقلبت التاء دالًا، لقرب مخرجها. ويأتي الزجر لجبر الخطايا عند الفقهاء.

و (زجر) ورد في القرآن بمعاني عدَّة منها: الردع والإنكار والتحذير والتوبيخ والنهر والمنع والطرد وصاح والصيحة تتضمن القهر والردع والهوان والنفخة.

والزجر مقرون بالوعيد عند التكرار، فهو مبالغة في الزجر، وتأكيد للوعيد والنذير.

والرجز للسحاب من قبل الملائكة.

وجاءت آيات بصيغة الاستفهام، ويراد بها الزجر والتهديد والإنكار.

وجاءت ﴿مَهْمَا﴾ [الأعراف: ١٣٢] في آية واحدة، وهي مركبة من (مه) اسم فعل و (ما) الشرطية.

ومن ألفاظ الزجر في القرآن چٹچ وقد تأتي بمعنى حقًا.

وحيثما وقع الرجز في الحديث، فيراد به النهي.

الكلمات المفتاحية: (الزجر، الردع، التوبيخ، بنت الشاطئ، والمنع).

Al-Zajr in the book Bint Al-Shatea

Suha Abbas Nasser

Anbar Education Directorate

Suhaabbas064@gmail.com

Abstract:

The word (Al-Zajr) in the Arabic language is one of the opposites, and its origin is (Artjaz), so the Ta was changed to Dal, due to its close articulation. Al-Zajr comes to compensate for sins according to jurists.

And (Zajr) was mentioned in the Qur'an with several meanings, including: deterrence, denial, warning, rebuke, reprimand, prevention, expulsion, and shouted, and the shout includes oppression, deterrence, humiliation, and blowing.

Al-Zajr is coupled with the threat when repeated, so it is an exaggeration in the warning, and an emphasis on the threat and the warning.

And the rajz is for the clouds by the angels.

And the verses came in the form of an interrogation, and it is intended to deter, threaten, and denial.

The word "mahma" [Al-A'raf: 132] came in one verse, and it is composed of (mah) a verb and (ma) the conditional.

Among the words of deterrence in the Qur'an is چڻچ and it may come with the meaning of "really."

Whenever the Rajaz occurs in the hadith, it is intended to mean prohibition.

Keywords: (deterrence, deterrence, rebuke, bint al-shati', and prevention).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأَمين وعلى آله وصحبه أَجمعين.

أَما بعد: فإِنَّ اللُّغة العربية قادرة بقوتها وغزارتها ومرونتها على مسايرة التَّقدم في شتى المجالات، فهي كالشَّجرة المثمرة النَّاضجة وثمارها علومُها الَّتي تقدّمها للبشرية على مرِّ العصور، ومن هذه الثِّمار علم اللغة الَّذي يتفرّع إِلى أَساليب متعددة ومتنوّعة، وقد قسمت البحث (الزجر عند بنت الشاطئ) على مبحثين المبحث الأَول: الزجر أَلفاظه ودلالته وأَغراضه، والمبحث الثاني: الشواهد التطبيقية وختمت البحث بخاتمة أَوضحت فيها أَبرز النَّتائج الَّتي توصلت إِليها.

أَسباب اختيار الموضوع:

تظهر أسباب اختياري لهذا الموضوع في الآتي:

١ ـ القيمة العلميّة للكتاب، وما تتضمّنه من آراء جديرة بالدِّراسة والتَّحليل من شأْنها أَنْ تثري الدَّرس اللّغوي.

٢ – استخراج المسائل اللغوية من كتاب بنت الشاطئ تدلُّ دلالة واضحة على أَثر التَّوجيه اللَّغوي على الفهم العميق لمعنى الزجر.

٣ ـ المكانة العلمية الرَّفيعة والمتميزة للبنت الشاطئ في علوم اللُّغة.

٤ ـ كتاب بنت الشاطئ ملْأى بالمسائل اللّغوية لذلك تحتاج إلى باحث للوقوف عليها ودراستها.

٥ـ إنَّ دراسة المسائل وتحليلها والوقوف على أَهم ما فيها وبيان وجوه الخلاف بين العلماء ومناقشة آرائهم مناقشة علميّة جادّة، كلّ ذلك قد أدّى إلى إثراء الطّالب معرفيًّا، ويساعد على تكوينه التَّكوينَ العلميَّ الصَّحيح.

أَهمية الموضوع:

تظهر أَهمية الموضوع في الآتي:

١ـ تكمن أَهمية الموضوع من خلال دراسة جوانب وقضايا تتعلّق بمعنى الزجر الَّذي تضمنها كتاب بنت الشاطئ.

٢ – إبراز عالمة ذي مكانة عالية من العلم والدِّراية في اللُّغة.

٣ – الاطلاع على آراء العلماء السَّابقين في المسائل المختلفة.

أَهداف الموضوع:

يمكن تلخيص ما يهدف إليه الموضوع في نقاط من أَهمها:

١ – جمع المسائل التي تتعلق بمعاني الزجر المتناثرة في كتاب بنت الشاطئ وتبويبها، ودراستها، ومناقشة الآراء فيها.

٢ – بيان أَهمية معنى الزجر في توجيه المعنى.

٣ – بيان شخصيّة بنت الشاطئ، والكشف عن منهجها في عرض المسائل اللغوية.

٥ – إبراز المسائل الَّتي وقع فيها خلاف، وتحليل الآراء ومناقشتها واختيار الرأْي الصَّائب منها.

الدِّراسات السَّابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت مؤلفات بنت الشاطئ:

١- على الجسر بين الحياة والموت سيرة(بنت الشاطئ) عائشة عبد الرحمن دوائر الصمت وصخب الاسئلة ، عباس عبد الحليم عباس ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد ١٩ ، العدد ٢ ، ٢٠٢١ م.

٢ – القسم والمقسم به وموقف الدكتورة عائشة بنت الشاطئ منها في تفسيرها البياني ، حبات الاسلام ، مجلد ١٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٢٠م .

٣- قضايا اللغة في تفسير بنت الشاطئ السياق دراسة تداوليه ،سناء عبد اللي ، مجلة الأثر ، جامعة خضير محمد ،بسكره الجزائر ، العدد ٢٨ ،٢٠١٧م .

صعوبات البحث :

من البديهيّ أن يواجه الباحث بعض الصُّعوبات الَّتي تنحلّ بعد التَّوكل على الله ومشورة أَهل العلم ، ومن تلك الصعوبات تشكيل جميع الألفاظ والمفردات الواردة في البحث سواء كانت مفردات الشاهد أَو الأَمثلة الواردة لكلِّ صيغة، وتوثيق الآراء ونسبتها إلى أصحابها، ومتابعة المسائل الخلافيّة في مظانّها.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أَن أَتبع المنهجَ الوصفيَّ التحليليّ؛ لأَنَّه يتناسب مع الدِّراسة، وهو منهج يقوم على إظهار المسائل ويعمد إلى إبراز جوانبها، والوقوف على أَهم الآراء وتحليلها ومناقشتها وترجيح الرأْي الصَّحيح، وعلى ذلك تكون الدِّراسة كما يأتي:

أَولا: ذلك أَذكر أَقوال العلماء فيما يخص هذا المبحث.

ثانيا: عزوت كلّ معلومة استفدت منها إلى أَصحابها، وذلك بذكر صاحبها في متن البحث، أو بالإحالة على مصدره في الهامش، سواء كانت الاستفادة بالنَّص أو بالمعنى.

ثالثا: وضعت علامة التَّنصيص على الأَقوال المنقولة بالنَّصّ، والإحالة إلى مصدرها في الهامش، وما نقلته بالمعنى جرّدته من علامة التَّنصيص، وأحلته على مصدره في الهامش.

رابعا: الاعتماد على أمّات المصادر والمراجع الأَصيلة في التَّوثيق والتَّخريج والجمع.

خامسا: توثيق الآيات القرآنية وترقيمها، وبيان سورها.

سادسا: تخريج الأَبيات الشِّعرية من دواوين الشُّعراء .

سابعا: العناية بقواعد اللُّغة العربية، والإملاء، وعلامات التَّرقيم.

المبحث الأول: الزّجر ألفاظه ودلالته وأغراضه

الزجر: بفتح أوله وسكون ثانيه، زجر من الأضداد، قولُهم في زَجْر الغنم، إذا أُبْعِدَتْ وطُرِدَت: حَايِ حَايِ، وحَايْ حَايْ، وحَايِنْ حَايِنْ. ويقال لها هذا إذا دُعِيَت وأُريد دنوُّها وقربُها[١].

وأصل الزجر: "الطرد بصوت، وقد يستعمل في الطرد المجرد أو الصوت المجرد"[٢].

والزجرة: الصيحة العظيمة. وهو بمعنى: النهى والمنع بلفظ، تقول: «زجرته فانزجر»، ويقال: "زجر الصياد الكلب"؛ أي: صاح به فانزجر: أي منعه عن متابعة الصيد، فامتنع، فالزجر على هذا ضد الإشلاء[٣].

و(زجره) عنه يزجره زجرا: (منعه ونهاه) وانتهره، (كازدجره)، كان في الأصل ازتجر، فقلبت التاء دالًا لقرب مخرجيهما، واختيرت الدال؛ لأنَّها أليق بالزاي من التاء. (فانزجر وازدجر)، وضع الازدجار موضع، الانزجار، فيكون لازمًا.

وحيث وقع الزجر في الحديث، فإنما يراد به النهي. وهو مزجور ومزدجر[٤].

وزَجْرَة مفرد: زَجَرات وزَجْرات: وهي:

١ – اسم مرَّة من زجَرَ: "انتهى بزجرةٍ واحدة".

٢ – صيحة عظيمة، وهي النّفخة الثّانية للبعث ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الصافات: من الآية ١٩][٥].

فيقال زجرته عن كذا وازدجرته فانزجر وازدجر. وتقول: المرء عما لا يعنيه مزجور، وعلى ما يعنيه مأجور. وتزاجروا عن المنكر. قال الحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ الْبَكْرِيُّ [من الخفيف][٦]:

لَا بُجَيْرٌ أغنَى فنيلا وَلا رَهْ ... طُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلالِ

ومن المجاز: زجر الراعي الغنم: صاح بها ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، وهو يزجر الطير: يعافها وأصله أنْ يرمي الطائر بحصاة أو يصيح به، فإنْ ولاه في طيرانه ميامنه تفاءل به وإنْ ولاه مياسره تَطَيَّرَ منه. وناقة زجور: لا تدرّ حتى تزجر. قال الأخطل [من الكامل][٧]:

خوصاً أضرّ بها ابن يوسف فانطوت والحَرْبُ لاقِحَةٌ لهُنَّ زَجُورُ

والريح تزجر السحاب. وكررت على سمعه المواعظ والزواجر، وكفى بالقرآن زاجراً، وَذِكْرُ اللهِ مزجرة ومدحرة للشيطان(٨).

الزجر: أنْ يرمي الطير بحصاة أو يصيح به، فإنْ ولاه في طيرانه ميامنه تفاءل به، أو مياسره تطير، والزجر للطير هو التيمن بسنوحيها والتشاؤم ببروحها. وضرب من التكهن. والزاجر: الكاهن(٩).

والزجر: طرد بصوت، يقال: زجرته فانزجر، قال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ، ثم يستعمل في الطرد تارة، وفي الصوت أخرى، وقوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢]، أي: الملائكة التي تزجر السحاب، وقوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر:٤]، أي: طرد ومنع عن ارتكاب المآثم. وقال: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]، أي: طرد، واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود(١٠).

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] أراد له البنات، وهذا الاستفهام بمعنى الزجر والتبكيت»(١١).

المبحث الثاني: الشواهد التّطبيقية

ضمّ كتاب بنت الشاطئ مجموعة من المسائل التي تعدّ تطبيقات علمية متضمنة معنى الزجر، ومن هذه التطبيقات:

«مجيئه بمعنى (ما)، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٣] و: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٨] و ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الزخرف: من الآية ٦٦] قال أهل التفسير: هذا كله بمعنى ما ينظرون إلا ذلك، وهو عند أهل العربية بمعنى الزجر والتهديد»(١٢).

و ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٩] استفهام بمعنى الزجر والإنكار، ومحاجتهم. و«{مُزْدَجَرٌ} محل الازدجار، وقد يكون الازدجار بمعنى الزجر ويكون بمعنى الانزجار»(١٣).

قَوْله تَعَالَى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣]، وَهُوَ اسْتِفْهَام بِمَعْنى الزّجر والتوبيخ(١٤).

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢] اختلف النحويون في ﴿مَهْمَا﴾: هل هي بسيطة أو مركبة؟ والقائلون بتركيبها اختلفوا: فمنهم مَنْ قال: هي

مركبة مِنْ ماما، كُرِّرت "ما" الشرطية توكيداً فاستثقل توالي لفظين فأُبْدلت ألف «ما» الأولى هاء. وقيل: زيدت "ما" على "ما" الشرطية كما تُزاد على "إنْ" في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ٣٨] فعُمِل العمل المذكور للثقل الحاصل. وهذا قول الخليل وأتباعه من أهل البصرة. وقال قوم: «هي مركبة مِنْ مَهْ التي هي اسمُ فعلٍ بمعنى الزجر وما الشرطية، ثم رُكِّبت الكلمتان فصارا شيئاً واحداً. وقال بعضهم: لا تركيبَ فيها هنا، بل كأنهم قالوا له: مه، ثم قالوا: "ما تَأْتِنا به" ويُعْزى هذان الاحتمالان للكسائي وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ ذلك قد يأتي في موضعٍ لا زَجْرَ فيه؛ ولأنَّ كتابتها متصلة ينفي كونَ كلٍ منهما كلمةً مستقلة[١٥].

قوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: من الآية ١٦٣]. واشتقاقه من زَبَرْتُ: أي: كتبتُ وزَبَرْته: قرأتهُ، وَزَبرْته: حسَّنت كتابتَه، وزَبَرْته: زَجَرته. فزبور – بالفتح – فَعُول بمعنى مفعول – كالركوب بمعنى: المركوب – والحلوب – بمعنى المحلوب – والمعنى: الكُتُب المزبورة، أي: المكتوبة، والزُّبُر: جمع زبور، وهو الكتاب.

قال امرؤ القيس [من الطويل][١٦]:

لمَنْ طَلَلٌ أبصَرْتُهُ فَشَجانِي كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِي

وقيل: اشتقاق من الزَّبْر بمعنى: الزجر: تقول: زبرت الرجل: أي: نهرته. وزبرت البئر: أي: طويتها بالحجارة[١٧].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣] كما قيل، وقوله: بإغلاظ متعلق بـ "تنهرهما" أو "تزجرهما"، وقوله: أخوات، أي: متقاربة في المعنى، أمّا النهي والنهر وهو الزجر فظاهر وأمّا النهم بسكون الهاء والميم؛ فلأنَّه يكون بمعنى الزجر أيضًا»[١٨].

و "كلا"، معناها في العربية على ثلاثة أوجه: حرف ردع وزجر، وبمعنى حقًا، وبمعنى إي:

فالأول: كما في قوله تعالى: ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: من الآية ١٠٠] ، إشارة إلى قول القائل: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، أي انته عن هذه المقالة، فلا سبيل إلى الرجوع.

والثاني: نحو: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ [العلق: ٦]، أي حقًا، لم يتقدم على ذلك ما يزجر عنه، وقول من قال: بمعنى حقا، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ

يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؛ كذا قال قوم، وقد اعترض على ذلك بأنَّ حقًا تفتح "أنّ" بعدها، وكذلك أما تأتي بمعناها، فكذا ينبغي في "كلا"، والأولى أنْ تفسّر "كلا" في الآية بمعنى ألا الاستفتاحية، وتلك تكسر ما بعدها "إنّ"، نحو: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

والثالث: قبل القسم، نحو: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢]، معناه إي والقمر، كذا قال النضر بن شميل، وتبعه جماعة منهم ابن مالك، ولها معنى رابع، تكون بمعنى ألا(١٩).

و "كلا" عند سيبويه والخليل والمبرّد والزّجّاج وأكثر نحاة البصرة، حرف معناه الرّدع والزجر، لا معنى له سواه، حتى إنهم يجيزون الوقف عليها أبدا والابتداء بما بعدها، حتى قال بعضهم: إذا سمعت "كلا" في سورة، فاحكم بأنَّها مكية؛ لأنَّ فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة، لأن أكثر العتوّ كان بها. وفيه نظر، لأنَّ لزوم المكية إنَّما يكون عن اختصاص العتوّ بها لا عن غلبته.

ثم إنَّه لا يظهر معنى الزجر في ﴿كَلَّا﴾ المسبوقة بنحو: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩].

وقول من قال: فيه ردع عن ترك الإيمان بالتصوير، في أيّ صورة شاء الله، وبالبعث، وعن العجلة بالقرآن، فيه تعسّف ظاهر. ثم إن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق، ثم نزل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ [العلق: ٦]، فجاءت في افتتاح الكلام، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعا، كلها في النصف الأخير.

وإذا صلح الموضع للردع ولغيره، جاز الوقف عليها، والابتداء بها، على اختلاف التقديرين.

والأرجح حملها على الردع، لأنه الغالب عليها، وذلك نحو: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٧٨-٧٩] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقد يتعين للردع أو الاستفهام نحو: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]؛ لأنَّها لو كانت بمعنى حقًا لما كسرت همزة إنّ، ولو كانت بمعنى نعم لكانت للوعد بالرجوع؛ لأنَّها بعد الطلب، كما يقال: أكرم فلانًا، فتقول: نعم. ونحو:

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢] ، وذلك لكسر إنّ؛ ولأنَّ نعم بعد الخبر للتصديق.

وقد يمتنع كونها للزجر والردع، نحو: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣١-٣٢]، إذ ليس قبلها ما يصح ردّه.

وجوّز الزمخشريّ كونه حرف الردع نوّن كما في ﴿سَلَاسِلَ﴾ [الإنسان: من الآية ٤]، وردّ عليه بـ أنَّ ﴿سَلَاسِلَ﴾ اسم أصله التنوين فردّ إلى أصله.

وقال ثعلب: كلّا مركب من كاف التشبيه ولا النافية، وإنما شددت لأمها لتقوية المعنى، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين، وعند غيره بسيطة(٢٠).

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] بما في الدع من قسوة الدفع والزجر.

فـ ﴿يَدُعُّ﴾ هي من دَعَّ دَعَعْتُ، يَدُعّ، ادْعُعْ، دُعَّ، دَعًّا، فهو داعّ، والمفعول مَدْعوع.

دعَّ المجرمَ: دَفَعَه في جَفْوةٍ وعنف وشدّة، زجره ونهره بغلظة ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣] وبالعاثر قَالَ لَهُ دع دع وبالغنم دَعَاهَا أَو زجرها(٢١).

أما الفعل من القهر، فلم يأت في القرآن كله، في غير آية الضحى، خاصة باليتيم، وجاء دع اليتيم تكذيباً بالدين في آية الماعون"(٢٢).

أي: اذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ، يوم يدفع هؤلاء المكذبون إلى النار دفعا قويًا. لا رحمة معه، ولا شفقة فيه، ثم يقال لهم بعد هذا الطرد الشديد: هذه هي النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا، ادخلوها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: من الآية ٧٢](٢٣).

والدع: الدفع بعنف وشدة. يقال: دَعَّ فلان فلانا دَعًّا، إذا دفعه بجفوة وغلظة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ ثم يقال لهم بعد هذا الطرد الشديد: هذه هي النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا، ادخلوها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٢٤).

وفي بعضها يكهرون بتقديم الهاء على الراء كما هنا من الكهر وهو الانتهار والزجر، قال القاضي: وهذا أصوب، وقال: وهو رواية الفارسي والأول رواية ابن ماهان والعذري.

قال الراغب: الدعّ الدفع الشديد، والكهر الانتهار، يقال كهره يكهره كقهره يقهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس، والمعنى إن الناس لا يُطردون عن قربه لا بالفعل ولا بالقول فيزاحمونه لكمال حلمه وتواضعه صلى الله عليه وسلم(٢٥).

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]، أي يشهد على نفسه بكفران نعمة ربه، وليس أقوى منها شهادة، وهذه الشهادة الدامغة تأتي في القرآن في مقام التحذير، والزجر المقرون بالوعيد(٢٦).

لكنود وحيدة في القرآن. صيغة ومادة. وهو في اللغة: الكفور للنعمة، والبخيل، والعاصي. وربما كان أصل استعماله في الأرض لا تنبت شيئاً.

وجاء في الكشاف، أن "الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان مضر وربيعة: الكفور".

والمعاني متقاربة على كل حال، وصلتها واضحة بالمعنى الذي رجحنا أنه الأصل، وهو الأرض لا تنبت شيئاً، فهي عاصية، وهي بخيلة، وهي كفور.

وأقرب معانيها إلى آية العاديات، والله أعلم أنَّه الكفران بنعمة الله(٢٧).

وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى ذَلِكَ أَيْ عَلَى كُنُودِهِ لَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، إِمَّا لِأَنَّهُ أَمْرٌ ظَاهِرٌ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ، أَوْ لِأَنَّهُ؛ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ وَيَعْتَرِفُ بِذُنُوبِهِ الْقَوْلُ الثَّانِي: الْمُرَادُ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ قَالُوا: وَهَذَا أَوْلَى لِأَنَّ؛ الضمير عائد إلى أقرب المذكورات والأقرب هنا هُوَ لَفْظُ الرَّبِّ تَعَالَى وَيَكُونُ ذَلِكَ كَالْوَعِيدِ والزجر له عين الْمَعَاصِي مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُحْصِي عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، وَأَمَّا النَّاصِرُونَ لِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَقَالُوا: إِنَّ قَوْلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ الضَّمِيرُ فِيهِ عَائِدٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهُ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَكُونَ النَّظْمُ أَحْسَنَ(٢٨).

وقال ابن عباس وقتادة: هو عائد على الله تعالى؛ أي: وربه شاهد عليه، وهو على سبيل الوعيد.

ونقل صاحب البحر المحيط عن التبريزي(٢٩) قوله: هو عائد على الله تعالى، وربه شاهد عليه هو الأصح؛ لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورين، ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي.

ولا يترجح بالقرب إلا إذا تساويا من حيث المعنى. والإنسان هنا هو المحدث عنه والمسند إليه الكنود. وتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين، ولا سيما إذا توسط الضمير بين ضميرين عائدين على واحد(٣٠).

وذكر ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين. والحسن وقتادة ومحمد بن كعب: إن الإنسان لشاهدٌ على نفسه بما يصنع كقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]. والأول أولى؛ لأنه كالوعيد والزجر له عن المعاصي(٣١).

وذكر ابن قتيبة: أرض كنود: لا تنبت شيئاً، والظاهر عود الضمير في ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]؛ أي: يشهد على كنوده، ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره، وقاله الحسن ومحمد بن كعب.

وذكر ابن عباس وقتادة: هو عائد على الله تعالى، أي: وربه شاهد عليه، وهو على سبيل الوعيد.

ويرى التبريزي: هو عائد على الله تعالى، وربه شاهد عليه هو الأصح؛ لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورين، ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي، ولا يترجح بالقرب إلا إذا تساويا من حيث المعنى، والإنسان هنا هو المحدث عنه والمسند إليه الكنود(٣٢).

إن قوله بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الضمير فيه عائد إلى الإنسان، فيجب أنْ يكون الضمير في الآية التي قبله عائداً إلى الإنسان ليكون النظم أحسن(٣٣).

الزجرة الصيحة، وأكثر ما تكون في سوق الكلب والبهم والدواب، ويلحظ فيها معنى الإذلال، من قولهم: تركه بمزجر الكلب. وناقة زجور: لا تدر لبنها حتى تزجر. كما استعملوا الزجر في التأنيب أو الردع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٤-٥].

وجاءت "زجرة" مرتين: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤].

والآيتان مكيتان، ووحدة السياق فيهما تجعلنا نطمئن إلى أنَّ الزجرة فيهما ليست مجرد صيحة، وإنَّما هي صيحة فيها كل ما يحتمل الزجر من قهر وردع وهوان، مع ملحظ قريب من المعنى الحسي الأصيل للمادة، من قولهم زجر الكلب إذا ساقه! من دون تحديد هذه الزجرة بأنها النفخة الثانية يبعث بها الأموات" كتأويل الزمخشري. والمفاجأة فيها صريحة بـ إذا، وهي تناسب الزجرة الواحدة. وبغتة

القيامة، وتتسق بيانياً مع حركة الخيل في صدر السورة، وعنف معاناتها لتنطلق ناشطة سابحة، إلى حسم معركة وتدبير أمر(٣٤).

وصرح أبو حيان، فيما ليس بمحمود. ويجيئ في القرآن، مفرداً وجمعاً، في سياق الغواية والضلال، بصريح: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣] ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: من الآية ٧٧] ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٩] ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]

وهذا التتبع، يؤيد ما يطمئن به السياق في: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: من الآية ٤٠] أي؛ استجابة إلى الشهوات الضالة والغواية المهلكة. وفي ﴿وَنَهَى﴾ هنا ملحظ دقيق، فكما استعملت العربية ضد الأمر، استعملت ﴿وَنَهَى﴾ كذلك في العقل والرشد، ومنه في القرآن الكريم ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] [طه ٥٤، ١٢٨].

وهو ما يجعل للفعل ﴿وَنَهَى﴾ النفس عن الهوى، إيحاء الاستجابة إلى صوت العقل في زجر النفس عن شهواتها، واعتقال هواها المضل(٣٥).

صيحة عظيمة، وهي النّفخة الثّانية للبعث(٣٦).

الساهرة اسم لكل أرض، والأشهر أنَّ: عرقان في الأنف من باطن، إذا اغتلم الحمار سالا ماء. قال الشماخ بن ضرار(٣٧):

تُوَائِلُ مِنْ مِصَكٍّ أَنْصَبَتْهُ حَوالِبُ أسهَرَيْهِ بالذَّنينِ

وسميتا بذلك؛ لأنَّهما يسيلان ليلا كما يسيلان نهارا. ويروى "أسهرته". ويقال رجل سهرة: قليل النوم. وأما الساهور فقال قوم: هو غلاف القمر، ويقال هو القمر. وأي ذلك كان فهو من الباب؛ لأنَّه يسبح في الفلك دائبا، ليلًا ونهارًا(٣٨).

زَجَر الطيرَ (الذي كان جاثمًا): أطاره (فتفاءل بتيامنه أو تطير بتياسره)، وزَجَرَتْ الريح السحابَ: أثارته، وزَجَره: طرده صائحًا(٣٩).

وهو زجر الطير: يعافها وأصله أن يرمي الطائر بحصاة أو يصيح به، فإنْ ولاه في طيرانه ميامنه تفاءل به وإنْ ولاه مياسره تطير منه. وناقة زجور: لا تدرّ حتى تزجر وهي من باب ركوب وحلوب وقد يستعار لصفة الحرب كالزبون.

قال الأخطل [من الكامل][٤٠]:

خوصاً أضرّ بها ابن يوسف فانطوت وَالْحَرب لاقِحَةٌ لَهُنَّ زَجُورُ

والريح تزجر السحاب. وكررت على سمعه المواعظ والزواجر، وكفى بالقرآن زاجراً، وذكر الله مزجرة ومدحرة للشيطان. وتركتنا بمزجر الكلب وأقبلت عليه[٤١].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-١٠].

بدأ فيها بوسائط الإدراك الحسي، ووسائل الإبانة: فالعين أداة البصر، واللسان والشفتان أدوات النطق والإبانة والتعبير. وليس المراد هنا، والله أعلم، أدوات الحس العضوية العضلية، فذلك ما لا يختص به الإنسان دون البهائم والوحش والطير والحشرات، وإنَّما يراد بها ما يسأل الإنسان عنه، على وجه الحض والزجر بالحجة، من أمانة البصر والنطق، تمهيداً لما يلي في السورة، من تقرير تبعات الرشد ومسؤولية الكلمة[٤٢].

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ جاءت بمعنى التسوية والتهيئة: يجعل له مخرجا يجعل له من أمره يسرا، وبمعنى إدخال شيء في شيء، كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ [البقرة: ١٩]. وبمعنى الإيقاع في القلب والإلهام، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: من الآية ٢٧][٤٣].

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]. و "الرازي" أخرجها من الإخبار إلى الاستفهام بمعنى التوبيخ والتقريع. والخبرية هنا أوقع في الزجر وأبلغ في الوعيد، بما تشهد به على أن إلهاء التكاثر إياهم واقع قد كان فعلاً، وليس المقام مقام استفهام، وإنَّما هو مقام بيان لما وراء هذا التكاثر العقيم الخاسر الذي ألهى وشغلهم عن التفكير في المصير[٤٤].

فحذف الجواب لمعرفة المخاطبين به[٤٥]، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله: "ما قل وكفى، غير مما كثر وألهى". وكذلك يجوز أفعل في لَهَوت. وألهاني كذا وكذا؛ ولذلك سمي المغني: ملهيا. وبه سميت الملاهي من الغناء ونحوه. قال الشاعر في لهيت[٤٦]:

فدعني ويب غيرك واله عني كأني من خزاعة أو ثقيف

ويقولونَ: كَلاّكَ واللَّهِ، أي: كَلاّ وكَلاّ يميناً لا أفْعَلُه، وهو قَسَمٌ. وقيل: كَلاّ زَجْر ورَدْعٌ. وهو بمعنى ألاَ التَنْبِيْهِ في قَوْله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١-٣] أي ألاَ. وهو – أيضاً –: بمعنى لا[٤٧].

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]. واضح هنا أنَّ الخطاب لمن الهاهم التكاثر، وأنَّ التكرار مبالغة في الزجر وتأكيد للوعيد والنذير، وهو ما اطمأن إليه الطبري والزمخشري وأبو حيان وغيرهم، ولكنهم أضافوا إلى هذا، أقوالاً أخرى، في توجيه الخطاب في الآيتين: عن الضحاك: أنَّ الآية الأولى للكفار فهي وعيد، وأنَّ الثانية للمؤمنين فهي وعد! وفي الآيتين كلتيهما، إلا للذين الهاهم التكاثر، ما التكرير إلا مبالغة في ردعهم وزجرهم وإنذارهم[٤٨].

هذا من باب التوكيد اللفظي، ويغلب إذا كان جملة أن تتبع بـ ﴿ثُمَّ﴾ الجملة الأولى أو تقترن بعاطف الذي هو ثم، ويكون جملة اسمية، ويكون جملة فعلية. كذلك قد يكون لفظًا واحدًا[٤٩]، وهذا كثير في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله: :فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ بَاطِلٌ بَاطِلٌ"[٥٠]، وكما في قول لفضل بن عبد الرَّحْمَن الْقرشِي [من الطويل][٥١]:

فإياك إياك المراء فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرّ دُعَاء وللشر جالب

وقد يكون التوكيد اللفظي بالضمير، ولكنك إذا أردت أنَّ تؤكد الضمير المتصل فينبغي أنْ تؤكده بضمير منفصل، كما تقول: قمتَ أنتَ، وجلستَ أنتَ، أي من باب توكيده[٥٢].

الطغيان تجاوز الحد، وأكثر ما يستعمل في جبروت العتاة المستبدين. والاستغناء ضد الاحتياج. وقد سبق استقراء آيات الطغيان والغنى في القرآن الكريم، في تفسير آيتي:

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

وكلا: للزجر والردع. لكن من المفسرين من تأولها بمعنى "حقاً"؛ لأنَّه ليس قبلها ولا بعدها شيء يتوجه إليه الردع [٥٣].

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، نفهمهما بالدلالة اللغوية على الغلظة والخشونة، مع ما في اللفظ نفسه من حس الجفوة[٥٤].

ثم يعطيهما السياق القرآني ملحظاً من رهبة الزجر في قسوة الأخذ بآية الدخان، ومن الضعة والخسة واللؤم، في عتل زنيم، بآية القلم، بعد وصفه بأنه: ﴿حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٢](٥٥).

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] والخرطوم الأنف أو مقدمه. وشاع استعماله في الحيوان، الفيل، واستعمال الأنف للإنسان. وإذ كان الأنف أبرز ما في الوجه، نقل إلى الدلالة المجازية على الرفعة والتكريم، أو الخسة والتحقير، فقالوا الأنوف والأنف، من الأنفة بمعنى العزة والكبرياء. وكنوا عن المترفع بمثل قولهم: شم الأنف، وأنفه في السماء. كما كنوا عن الإذلال بمثل قولهم: أنفه راغم، وأنفه في التراب.

وفي القرآن الكريم، استعمل الأنف للإنسان على أصل معناه اللغوي في القصاص بآية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

والعدول عن الأنف إلى الخرطوم في آية القلم، فيه ملحظ التحقير والهبوط بآدمية ذلك المفتون الشرير الجافي اللئيم، إلى دمنية البهائم والدواب.

ومن هذا، يبدو ضعف ما قيل في تأويله، بأن معناه: سنسود وجهه أو نضرب بالسيف على أنفه – وأيدوا هذا التأويل بما حل بالوليد بن المغيرة يوم دبر! – أو نسم على أنفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره!

ورد الخرطوم إلى الأنف، يضيع به سر البيان في تحقير المغرور الخبيث، والهبوط بآدميته إلى البهيمية. أما ما نقلوا عن "النضر بن شميل" من أنه تأوله في معنى "سنحده على شرب الخمر"، ففيه شطط وبعد كما ذكر "أبو حيان". ووجه الشطط فيه أنَّ حد الخمر لم يكن قد شرع بعد لتؤدي الآية معناها من الزجر(٥٦).

وسورة الليل مبدوءة بواو القسم، وهو عند المفسرين للإعظام، على أصل استعماله في اللغة. والذي أطمئن إليه، هو أن البيان قد يعدل عن هذا الأصل لملحظ بلاغي في التعبير، كمثل عدوله في الاستفهام والأمر والنهي عن أصل استعمالها الأول، إلى تقرير أو إنكار، أو زجر ووعيد، أو سخرية وتوبيخ، أو تعجيز وإفحام، على ما هو مألوف ومقرر في علم البيان.

لكن المفسرين لم يلتفتوا إلى احتمال أن يكون القسم بالواو هنا، وفي نظائرها من الآيات المستهلة بالواو، قد جاء على غير استعماله اللغوي الأول، لملحظ بياني، وإنَّما هو عندهم جميعاً على أصله من الإعظام والتعظيم، ومن ثم شغلوا بتأول وجه العظمة في الليل والنهار(٥٧).

ونخلص من هذه التأويلات إلى تدبر البيان القرآني. فنرى السياق صريحاً في أن الأمر في الإكرام والنعمة وفي التضييق في الرزق، إنما هو ابتلاء يمتحن به الإنسان ليعرف مدى صبره على فتنة النعم وبلاء الحرمان، ولتنكشف حقيقته في أداء حق النهمة والصبر على الضيق.

ووجه الزجر والإنكار، أن يتوهم المنعم أن الله. أكرمه ونعمه؛ إلا لأنَّه أهل(٥٨).

﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤] مع الردع والزجر بـ: ﴿كَلَّا﴾، يأتي هذا النبذ في الحطمة. والنبذ في العربية الطرح لما هو هين وحقير، والمنبوذ ولد الزنى، واللقيط الملقى في الطريق. وقبر منبوذ بعيد منعزل. والنبيذة الناقة لا تؤكل من فرط سقمها وهزالها، والأنباذ الأوباش.

والانتباذ التنحي والانسحاب إلى مكان مهجور، ومنه في القرآن آيتا مريم ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢].

والنبذ في الحرب أن يخرج أحد الفريقين إلى حيث انتحى الآخر وانتبذ، ومنه ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]

وكل ما في القرآن من النبذ، غير آيتي مريم والأنفال، هو من الطرح والنفي، عن هوان المنبوذ على النابذ.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وبكل ما في لفظ النبذ من دلالة على الهوان والضياع، يأتي الفعل في الهمزة، مؤكداً باللام والنون المزيدتين، وعيداً لعابد المال الذي يحتقر الناس ويزدريهم، ويدأب على تجريحهم همزاً ولمزاً. وقد فسرها الإمام "الطبري" بالقذف. ولمح "الفخر الرازي" ما في النبذ من إهانة.

والإهانة أصلية في دلالة النبذ لغة، والبيان القرآني يجلوها على هذا النحو الباهر حين يزجر بها ذلك المتفاخر المتعالي المغرور بماله يحسب؛ لأنَّه أخلده، وإنَّما ينتظره خلود آخر مهين أليم، منبوذاً في الحطمة.

وأصل الحطم في العربية: التهشيم مع اختصاص بما هو يابس كالعظام، وقيل الحطوم للأسد يحطم كل شيء ويهشمه، وللريح تقوض البناء. والحاطوم والحطمة السنة المشؤومة. ورجل حطم يلتهم كل شيء ولا يشبع. وراع حطمة وحطم، كأنه يحطم الماشية عن سوقها، لعنفه(٥٩).

الخاتمة:

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصَّالحات، والحمد لله ملء السَّموات والأَرض، وملء ما بينهما، أَهل الثَّناء والمجد، والصَّلاة على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين،

أَما بعد

ففي ختام هذا البحث توصلت ـ بتوفيق الله وفضله ـ إلى نتائج كان من أَبرزها:

١ ـ المنزلة العلمية والمكانة المرموقة الَّتي تميَّزت بها بنت الشاطئ .

٢ ـ القيمة العلمية لكتاب بنت الشاطئ ، واستخراج علوم اللغة منها.

٣ ـ إبراز دور بنت الشاطئ واهتمامها بالدِّراسات.

٤ ـ التَّوصل إلى أَنَّ بنت الشاطئ من العالمات المشهورات بغزارة علمها، وتمكنها من الإلمام بعلوم اللغة .

٥ ـ يأَتي الزجر بمعاني مختلفة إذ يخرج أَسلوب الاستفهام والشرط والتوكيد والنهي إلى معاني الزجر.

٦ـ يأَتي الزجر بأَلفاظ الجواب (كلا) وغيرها .

٧ ـ أَلفاظ الزجر المختلفة وبأَساليب متعددة يدل على مرونة اللغة العربية وغنائها .

وفي الختام أَسأل الله التَّوفيق والسَّداد في القول والعمل، وأَن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنَّه سميع مجيب.

الهوامش:

(١) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٤٠٢.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ٢/ ١٣٦.

(٣) ينظر: معجم لغة الفقهاء: ١/ ٢٧٧؛ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ٢/ ٢٠٠.

(٤) تاج العروس: ١١/ ٤١٠.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ٩٧٤.

(٦) ديوانه: ٥١٤.

(٧) ديوانه: ١٠٤.

(٨) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري: ١/ ٤٠٩.

(٩) ينظر: معجم متن اللغة : ٣/ ١٧.

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١/ ٤٣٢.

(١١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري – معتزلي: ١٠٤.

(١٢) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري – معتزلي٥٠٠.

(١٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ١/ ٢٥٤، ٣٠٨، ٤/ ١٥٨٢.

(١٤) تفسير السمعاني: ٤/ ٤١٨.

(١٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥/ ٤٣٠، ٤٣١.

(١٦) ديوانه: ١٨٦.

(١٧) اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٩٦.

(١٨) حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي=عنايه القاضي وكفاية الراضي: ٦/ ٢٢.

(١٩) إمتاع الأسماع: ٣/ ٦.

(٢٠) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ١٥.

(٢١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٧٤٦، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٤/ ٤٠.

(٢٢) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٥٢.

(٢٣) ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٢٨٥.

(٢٤) ينظر: الوسيط لسيد طنطاوي: ٣٩٨٤.

(٢٥) ينظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٢٠٥.

(٢٦) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١١١.

(٢٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٧١٥.

(٢٨) ينظر: تفسير الرازي: ٣٢/ ٢٦٢؛ الحاوي في تفسير القرآن الكريم: ٨٢٧/ ٥٤.

(٢٩) التبريزي: مظفر بن أبى محمد، ابن أبى الخير بن إسماعيل بن على الرازي أمين الدين صاحب المختصر في الفقه، ومختصر تنقيح المحصول وسمط المسائل في الفقه، درس بالناصرية (ت٦٢١هـ). ينظر: العقد المذهب في

طبقات حملة المذهب، ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري سراج الدين (ت٨٠٤هـ)، تح: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١٥٦.

(٣٠) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٥٠٢.

(٣١) ينظر: تفسير اللباب لابن عادل: ٥٣٣٢، ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٤٦٥.

(٣٢) ينظر: البحر المحيط:١١/ ٢٤.

(٣٣) ينظر: تفسير الرازي: ٣٢/ ٢٦٢.

(٣٤) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٤٠.

(٣٥) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٥٨.

(٣٦) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ٩٧٤.

(٣٧) ديوانه: ٣٢٦.

(٣٨) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/ ١٠٩.

(٣٩) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٢/ ٨٨٠.

(٤٠) ديوانه ص ١٠٤.

(٤١) أساس البلاغة :١/ ٤٠٩.

(٤٢) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٨١.

(٤٣) تاج العروس: ٢٨/ ٢٠٨.

(٤٤) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٩٥.

(٤٥) إيضاح الوقف والابتداء: ٢/ ٩٨٤.

(٤٦) تصحيح الفصيح وشرحه: ١٧٥.

(٤٧) المحيط في اللغة: ٢/ ٦٥.

(٤٨) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٥٨١؛ التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٢٠٢، ٢٠٣

(٤٩) الجمل في النحو: ١١٩.

(٥٠) المقرر على أبواب المحرر: (كتاب النكاح) (باب شروط النكاح) (ر: ١٦٣٤) (٢/ ١١٢)، صححه المحقق.

(٥١) من شواهد الكتاب لسيبويه: ١/ ٢٧٩؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي: ٤/ ٧٦.

(٥٢) شرح الآجرومية، لمحمد خالد الفاضل: ٢٧٤.

(٥٣) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ٢٤.

(٥٤) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ٥٨.

(٥٥) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ٥٩.

(٥٦) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ٦١.

(٥٧) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ١٠٠.

(٥٨) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ١٥١.

(٥٩) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ١٧٤.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

(أ)

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨ هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢. الأضداد، الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة (ت٣٢٨هـ)، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(ب)

٣. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الولوي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٣٦هـ.

(ت)

٤. تاج العروس، الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد عبد الرزّاق مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥. تصحيح الفصيح وشرحه، ابن درستويه، أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، تح: محمد بدوي، المختون، د. رمضان عبد التواب، مطابع الأهرام التجارية، مصر، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦. التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت١٤١٩هـ)، دار المعارف، القاهرة ، ط ٧،(د ت).

٧. تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث

٨. تفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٩. تفسير الطبري، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن ديوان العباس بن مرداس السلمي (ت١٦هـ)، تح: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٠. تفسير اللباب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى : ٧٧٥هـ).

١١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد (ت١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.

(ج)

١٢. الجمل في النحو، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، دار الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(ح)

١٣. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِيى، الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي شهاب الدين (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، (د ت).

١٤. الحاوي فى تفسير القرآن الكريم= جَنَّةُ الْمُشْتَاقِ فى تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ، عبد الرحمن بن محمد القماش، الإمارات العربية، ٢٠٠٩م.

(د)

١٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم شهاب الدين (ت٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ت).

١٦. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل (ت٤٧١هـ)، تح: وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٧. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تح:صلاح الدين الهادي، دار المعارف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

(ش)

١٨. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله أحمد الأنصاري (٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ١٩٨٦م.

(ع)

١٩. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم شهاب الدين (ت٧٥٦هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(ك)

٢٠. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الارمي العلوي الهرري دار المناهج- دار طوق النجاة الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(ل)

٢١. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني سراج الدين (ت٧٧٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(م)

٢٢. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد الطالقاني (ت٣٨٥هـ)، تح: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٣. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٤. معجم المصطلحات النحوية الصرفية، د. محمد سمير جميل اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٦. معجم لغة الفقهاء، مصطلحات ومفردات فقهية، محمد قلعجي، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٧. معجم متن اللغة، أحمد، أبو العلاء رضا بن إبراهيم العاملي بهاء الدين (ت١٣٧٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٢٨. المعجم الوسيط، أبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، إستنبول، ط ٢، ١٩٨٩م..

٢٩. المفردات في غريب القرآن، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣١. المقرر على أبواب المحرر، يوسف بن ماجد بن أبي المجد (المقدسي الحنبلي)، حققه وخرج أحاديثه، حسين إسماعيل الجمل دبلوم الدراسات العليا في الوثائق قسم المكتبات -جامعة القاهرة

٣٢. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(و)

٣٣. الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٣٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد (ت١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.